الباب السابع عشر

في درجات الجنة

قال تعالى : ﴿ **لا يَستوي القاعِدُونَ منَ المؤمنينَ غيرُ أُولي الضَّرَرِ والمجاهدونَ فِي سبيلِ اللهِ بأموالهِمْ وأنفسهِمْ فضَّل اللهُ المجاهدينَ بأموالهِمْ وأنفسهِمْ على القاعدينَ دَرجةً وكُلًّا وعدَ اللهُ الحُسنَى وفَضَّلَ اللهُ المجاهدينَ على القاعِدِينَ أجْراً عَظِيماً * دَرجاتٍ منهُ ومغفرةً ورحمةً وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً** ﴾ [النساء : ٩٥ ـ ٩٦] .

ذكر [ابن] جرير : عن هشام بن حسان ، عن جبلة بن عطية ، عن ابن محيريز قال : ﴿ **وفضلَ اللهُ المجاهدينَ على القاعدينَ أجراً عظيماً درجاتٍ منه** ﴾ [النساء: ٩٥] قال: هي سبعون درجةً ما بين الدرجتين عَدْوُ[1] الفرس الجواد المضمّر سبعين عاماً .

وقال ابن المبارك : أنبأنا سلمة بن نبيط، عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ **لهمْ دَرجاتٌ عندَ ربِّهِمْ** ﴾ [الأنفال : ٤] قال : بعضهم أفضل من بعض، فيرى الذي قد فضل به فضله، ولا يرى الذي هو أسفل منه ، أنه فضل عليه أحد من الناس .

وتأمل قوله : كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة . ثم أوقعه ثانياً بدرجات ، فقيل : الأول بين القاعد المعذور والمجاهد، والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد. وقال تعالى : ﴿ **أفمنِ اتَّبعَ رضوانَ اللهِ كمنْ باءَ بِسَخَطٍ منَ اللهِ ومأواهُ جهنَّمُ وبئسَ المصيرُ * هُم درجاتٌ عندَ اللهِ واللهُ بصيرٌ بما يعملونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦٢ ـ ١٦٣] .

---

(١) عَدْوُ الفرس : جَرْي الفرس وسرعته .

وقال تعالى : ﴿ **إنَّما المؤمنونَ الـذينَ إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلـوبُهُمْ وإذا تُلِيتْ عليهم آياتُه زادتهمْ إيماناً وعلى ربِّهم يتـوكلونَ * الذينَ يُقيمـونَ الصلاةَ ومِمَّـا رزقناهم يُنفقـونَ * أولئكَ همُ المؤمنـونَ حقـاً لهمْ درجـاتٌ عنـدَ ربِّهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ** ﴾ [الأنفال : ٢ ـ ٤] .

وفي « الصحيحين » من حديث مالك ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء ابن يسار، عن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ أهلَ الجنةِ لَيَتراءَونَ أهلَ الغرفِ من فوقِهِمْ كما يَتراءونَ الكوكبَ الدُّريَّ الغـابرَ منَ الأفقِ، من المغرب أو المشرق لتفاضلِ ما بينهمْ، قالـوا : يا رسـولَ اللهِ، تلك منازلُ الأنبياءِ لا يبلغُها غيرُهمْ ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيدِهِ رجالٌ آمنوا باللهِ وصدَّقُوا المرسلينَ »[1] .

ولفظ البخاري «في الأفق»: وهو أبين، والغـابر: هـو الذاهب المـاضي الذي قد تـدلى للغروب، وفي التمثيـل به ـ دون الكـوكب المسامت للرأس، وهو أعلى ـ فائدتان:

أحدهما: بعده عن العيون.

والثانية: أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وإن لم تُسامت العليا السفلى، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله. والله أعلم.

وفي « الصحيحين » أيضـاً من حديث سهـل بن سعد أن رسـول الله ﷺ قال : « إنَّ أهلَ الجنةِ ليتراءَونَ أهلَ الغرفةِ في الجنةِ ، كما تَرونَ الكوكبَ في أفقِ السماءِ »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٦) في بدء الخلق : باب ما جاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة ، ومسلم (٢٨٣١) في الجنة: باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء.

الكوكب الدري : الكوكب العظيم . سمي درياً ، لبياضه كالدر، أو لإضاءته .

الغابر : الذاهب .

الأفق : ناحية السماء .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٥٥) في الرقاق : باب صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٨٣٠) في الجنة : باب : ترائي أهل الجنة الغرف كما يُرى الكوكب في السماء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا فزارة ، أخبرني فليح ، عن هلال يعني ابن علي ، عن عطاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إنَّ أهلَ الجنةِ ليتراءونَ في الجنةِ كما تَرَاءونَ أو ترونَ الكوكبَ الدريَّ الغاربَ في الأفقِ الطالعَ في تفاضلِ الدَّرجاتِ . قالوا يا رسولَ اللهِ أولئكَ النبيونَ ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيدِهِ وأقوامٌ آمنوا باللهِ وصدَّقُوا المرسلينَ »[1] .

ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخاري في « صحيحه » ، وفي هذا الحديث : « الغارب » وفي حديث أبي سعيد الخُدْريّ : « الغابر » وقوله : الطالع صفة للكوكب، وصفه بكونه غارباً ، وبكونه طالعاً .

وقد صرح بهذا المعنى في الحديث الذي رواه ابن المبارك : عن فليح ابن سليمان عن هلال بن علي ، عن عطاء ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ [قال] : « إنَّ أهلَ الجنةِ ليتراءونَ في الغرفِ كما يُرى الكوكبُ الشرقيَّ ، [أ] والكوكبُ الغربيُّ في الأفق في تفاضلِ الدرجاتِ . قالوا : يا رسولَ الله أولئكَ لنبيونَ ؟ قال : لا ، بل ، والذي نفسي بيدِهِ وأقوامٌ آمنوا باللهِ وصدّقوا المرسلين »[2] وهذا على شرط البخاري أيضاً .

وفي « المسند » من حديث أبي سعيد الخُدْريِّ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ المتحابينَ لتُرى غرفُهم في الجنةِ كالكوكبِ المطالع الشرقيِّ أو الغربيِّ ، فيقال : من هؤلاءِ ؟ فيقالُ : هؤلاء المتحابُّونَ في اللهِ عزَّ وجلَّ »[3] .

وفي « المسند » من حديث أبي سعيد الخُدْريِّ أيضاً عن النبي ﷺ قال : « إن الجنةَ مئة درجةٍ ، ولو أن العالمينَ اجتمعُوا في إحداهُنَّ لوسعتهم »[4] .

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٣٩ .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد »(٤١٨)،والترمذي : (٢٥٥٦) في الجنة : باب ما جاء في تراثي أهل الجنة في الغرف . وقال : حديث حسن صحيح . وعند أحمد ٢/٣٣٥،وفيه « بلى » بدل قوله : « لا، بل » .

(٣) أخرجه أحمد ٣/٨٧ .

(٤) أخرجه أحمد ٣/٢٩ ولفظه : « إن للجنة » ، والترمذي : (٢٥٣٢)في الجنة : باب ما جاء في صفة درجات الجنة ، وقال حديث غريب . ولفظه : « إن في الجنة . . » .

وفي « المسند » عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال : « يقالُ لصاحب القرآن إذا دخلَ الجنةَ : اقرأْ واصعدْ ، فيقرأُ ويصعدُ بكلِّ آيةٍ درجةً ، حتى يقرأَ آخرَ شيءٍ معهُ »[1] وهذا صريح في أن درج الجنةِ تزيد على مئة درجةٍ .

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري في « صحيحه » عن النبي ﷺ قال : « إنَّ في الجنةِ مئة درجةٍ أعدَّها اللهُ للمجاهدينَ في سبيلِه بينَ كلِّ درجتين كما بينَ السماءِ والأرضِ ، فإذا سألتُم اللهَ فاسألُوه الفردوسَ، فإنه وسطُ الجنةِ، وأعلى الجنةِ، وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ، ومنه تُفجرُ أنهارُ الجنةِ »[2] فإما أن تكون هذه المئة درجة من جُملةِ الدَرَجِ ، وإما أن تكون نهايتها هذه المئة درجة ، وفي ضمن كل درجة درج دونها .

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : « مَنْ صلَّى هؤلاء الصلواتِ الخمس، وصام شهرَ رمضانَ كان حقاً على اللهِ أنْ يغفرَ له هاجَرَ أو قعدَ حيثُ ولدتهُ أُمه ، قلتُ : يا رسولَ اللهِ ألا أخرجُ فأوذنُ الناسَ ؟ قال : لا، ذرِ الناسَ يعملون ، فإنَّ في الجنةِ مئة درجةٍ بينَ كلِّ درجتين منها مثلُ ما بينَ السماءِ الأرضِ ، وأعلى درجةٍ منها الفردوسُ، وعليها يكونُ العرشُ ، وهي أوسطُ شيء في الجنةِ ، ومنها تُفجرُ أنهارُ الجنةِ ، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوسَ »[3] رواه الترمذي هكذا بلفظة « في » .

وروى أيضاً : من حديث عطاء،عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٠ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) في الجهاد، باب رقم (٤) .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٣٠) في صفة الجنة : باب (٤) ما جاء في صفة درجات الجنة ولفظه : « من صام رمضان ، وصلى الصلوات ، وحج البيت لا أدري أذكر الزكاة أم لا إلا كان حقاً . . » قال أبو عيسى : هكذا روي هذا الحديث عن هشام بن سعد،عن زيد بن أسلم،عن عطاء بن يسار، عن معاذ، وهذا عندي أصح من حديث همام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة. وعطاء لم يدرك معاذ بن جبل، ومعاذ قديم الموت، مات في خلافة عمر .

قال : « إنَّ في الجنةِ مئةَ درجةٍ »[1] ثم ذكر نحو حديث معاذ .

وفيه أيضاً : من حديث عطاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « في الجنةِ مئة درجةٍ ما بينَ كلِّ درجتينِ مئة عامٍ » قال : هذا حديث حسن غريب[2] .

وفيه أيضاً : من حديث أبي سعيد يرفعه : « إنَّ في الجنةِ مئةَ درجةٍ لو أنَّ العالمينَ اجتمعُوا في إحداهن لوسعتهم »[3] ورواه أحمد[4] بدون لفظة : « في » كما تقدم ، وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة : « في » وبدونها ، فإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجها ، وإن كان المحفوظ سقوطها ، فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار ، والله أعلم .

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمئة وتقديرها بالخمس مئة لاختلاف السير في السرعة والبطء ، والنبي ﷺ ذكر هذا تقريباً للأفهام ، ويدل عليه حديث زيد بن حبَّان : حدثنا عبد الرحمن بن شريح ، حدثني أبو هانىء التجيبي ، سمعت أبا علي التجيبي سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مئة درجة في الجنةِ ما بينَ الدرجتينِ ما بينَ السماءِ والأرض ، أو أبعد مِمَّا بين السماءِ والأرضِ » قلتُ : يا رسولَ الله لمن؟ قال : «للمجاهدين في سبيل الله»[5] .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٣١) مطولاً في صفة الجنة : باب (٤) .
(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٢٩) في صفة الجنة : باب (٤) .
(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٣٢) في صفة الجنة : باب (٤) وقال : هذا حديث غريب .
(٤) اخرجه أحمد ٣/٢٩ ولفظه : « إن للجنة . . . » من حديث أبي سعيد .
(٥) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٩٢٢).